# سحر البيان في القرآن

عبد القادر منصور*

## طبيعة البيان في القرآن

إن العرب أمة أُمّية. لا تملك من المعرفة إلا ألسنتها وقلوبها. غير أنهم دأبوا على فنون من القول يذهبون فيها مذاهب شتى. ويتواردون عليها. وكانت هذه الفنون لا تكاد تتجاوز ضروباً من الوصف. وأنواعاً من الحكَم. وطائفة من الأخبار والأنساب. ونحو ذلك. وكانت طبيعة كلامهم تنتظم حقيقة ومجازاً. وتصريحاً وكنايةً . وإيجازاً وإطناباً.

وسُنَّة الله تعالى في إرسالِ رسله،أن تكون بلغة قومهم. وهي قاعدة مضطردة فيها. وجرياً على هذه القاعدة ،فقد أُنزل القرآن بلغة العرب على نبي أُمّي، وفق أساليبهم في البيان. فنهج في أسلوبه نمط العرب في كلامهم. حتى يفهموا الأحكام والحكم. وفصل الخطاب. فاستعمل-كما يستعملون- الحقيقة والمجاز. والتصريح والكناية. والإيجاز والإطناب.

هذا، وقد صرح الله في القرآن بتقرير هذه القاعدة . إذ قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ [1]}أي: بلغتهم ليفهموا عنه. غير أن القرآن قد علا على المنطق العربي،من حيث معانيه وأساليبه الرائعة التي افتنَّ بها في غير

* Dr, Öğretim Görevlisi, Eskişehir Osmangazi Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı

[1] [إبراهيم/4]

مذاهبهم . ونزع منها إلى غير فنونهم-تحقيقاً لإعجازه الأبدي. ناهيك[1] بأنه من لدن عليم حكيم.

وألفاظ القرآن عربية كلها دونما استثناء. وما يُظنُّ ببعض الألفاظ. أنها غير عربية الأصل. فهي مما تواردت عليه اللغات. فالعرب هضمتها. وأجرت عليها قوانينها. فصارت عربية بالاستعمال. ويطلق على هذا اسم:( التعريب).

لذلك. كان معظم القرآن واضحاً بيّناً. يدرك معناه الصغير والكبير . والعالم والأمي. ويشهد لهذا . ما حكي من تفاعل الأعراب مع الخطاب- سلباً وإيجاباً.

ظاهرة البيان:

البيان فن من أعظم الفنون،حاضر في سائر المجتمعات بلا استثناء. ويختلف من بيئة إلى أخرى في جماله وتأثيره. وهو دائم الصعود في تفعيل إرادات البشر، وسفينة لتوصيل ما يشاؤون. ويكون فطرة وكسباً. وأبدعُه ما كان مع الخلقة، وأجمله ما كان من الاثنين معاً.

هذا. وكان العرب يعرفون بالطبع وجوه بلاغته كما كانوا يعرفون وجوه إعرابه. ولم يحتاجوا إلى بيان النوعين في ذلك العصر؛ لأنه لم يكن يجهلهما أحد من أصحابه. فلما ذهب أرباب السليقة والتبس الإعراب باللحن، والمجاز بالحقيقة. وضع لكل من الإعراب والبلاغة قواعد يدرك بها ما أدركه الأولون بالطبع. فكان حكم علم المعاني والبيان كحكم علم النحو والإعراب. وكانت الحاجة إليهما داعية لإدراك وجه الإعجاز والإعراب[2].

سحر البيان:

---

[1] نَاهِيكَ: يُقال "ناهِيكَ بِكَذَا" أي حسْبُكَ وكافِيكَ بكذا.

[2] نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (1/ 9)

وبين أيدينا في ظاهرة البيان, قرآن وحديث . فالقرآن يدعو إلى النهل من المعين، إذ يقول سبحانه:{خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ [1]}ففي هذا إيماء. بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان هو البيان. وهو التعبير عما في الضمير. وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي. وتعرف الحق وتعلم الشرع [2] ."

**لماذا { عَلَّمَهُ البيان }؟** .لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه. والمراد به: المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير . وفي قوله تعالى :{ خَلَقَ الإنسان }تعيين للمتعلم . وقوله:{ عَلَّمَهُ البيان } تبيين لكيفية التعليم . والمراد بتعليم البيان: تمكين الإنسان من بيان نفسه . ومن فهم بيان غيره . إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن [3].

**أما الحديث :** فقد فسر جانباً خطيراً من ظاهرة البيان. وكشف عن أخطر وظائفه. وهي السحر. فقال(ص):"إن من البيان لسحراً [4]. وإن من الشعر حكماً[5] " أي: في أخذه بالقلوب. وفي رواية: "وإن من طلب العلم لجهلا وإن من القول عياً[6] "

فإن أريد بالحديث المدح. فالمعنى :أنه يستمال به القلوب. ويرضى به الساخط. ويستنزل به الصعب . وإن أريد به الذم. فالمعنى :أنه يكتسب به من الإثم ما يكتسبه الساحر[7]

---

[1] سورة الرحمن رقمها (55)الآية:(3 – 4)

[2] تفسير البيضاوي :(5/ 253)

[3] تفسير الألوسي (20/ 113)

[4] وفي فتح الباري لابن حجر (14/ 408):وَفِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيّ " سِحْرا " بِغَيْرِ لَام.

[5] أخرجه الطيالسي (2670) وأحمد (2761) وأبو داود(5011) ، والطبراني (11758) . وأبو يعلى (2332) وابن حبان (5780) .الخطيب (348/10) .

[6] أخرجه ابن عساكر (82/24) . والقضاعي (961) ، والضياء (493) .

[7] مقدمة الفتح (ص: 127)

وقَالَ ابْن التِّين : "والْبَيَان نَوْعَانِ. الأَوَّل: مَا يُبَيِّن بِهِ الْمُرَاد. وَالثَّانِي: تَحْسِين اللَّفْظ حَتَّى يَسْتَمِيل قُلُوب السَّامِعِينَ . وَالثَّانِي: هُوَ الَّذِي يُشَبَّه بِالسِّحرِ. وَالْمَذْمُوم مِنْهُ مَا يُقْصَد بِهِ الْبَاطِل. وَشَبَّهَهُ بِالسِّحرِ،لأَنَّ السِّحر صَرْف الشَّيْء عَنْ حَقِيقَته .[1] "

وفي الديباج:"....والثاني: أنه مدح. لأن الله امتن على عباده بتعليم البيان. وشبهه بالسحر: لميل القلوب إليه . وأصل السحر: الصرف. فالبيان يصرف القلوب ويميلها إلى ما يدعو إليه [2]. قال النووي[3] :وهذا التأويل الثاني هو الصحيح المختار."

أنواع البيان:

والبيان : إما أن يكون مألوفاً. فمهمته إيصال ما يريد صاحبه فحسب. وإما أن يكون خارجاً عن المألوف. فهذا ما يفعل الأعاجيب،ويسحر العقول ويأخذ بالألباب.

والقرآن في بيانه،قد شهدت عليه الجن بأسلوب التنكير ، ليكون آخذاً بأطراف البيان كلها، إذ قالت:{... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبا [4]}بديعاً ، مبايناً لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه . وهو مصدر وصف به للمبالغة[5] .

والعجب، هنا ،في ثلاثة أوجه :

أحدها : عجباً في فصاحة كلامه .

---

[1] فتح الباري لابن حجر (14/ 409)

[2] الديباج على مسلم (2/ 448)

[3] (6 / 159)

[4] [الجن: 1]

[5] تفسير البيضاوي (5/ 331)

الثاني : عجباً في بلاغة مواعظة .

الثالث : عجباً في عظم بركته[1] .

وقاعدة الإعجاز في القرآن تنطلق من فصاحة بيان، وجمال سحره الآخذ بالألباب. وهذه لن يدركها إلاَّ من منح حساً ذوقياً في فصاحة البيان ،ومعرفة واسعة في أساليبه ،ولو كان من الأميين. فطبيعة العرب حين التنزيل كانت الأمية. ونبيهم كان مثلهم. فهم عباقرة في الكلام . أما الكتابة: فكانوا بمنأى عن التباري فيها.

مواقف التعجب والإعجاب:

والفصاحة أذواق . أعلاها أن ينفعل المتأثر بها انفعالاً عجيباً. وحتى نقف على سحر ظاهرة البيان، علينا أن نطالع في أذواق المتفاصحين ممن غلبهم سحر القرآن ببيانه. وهم لا يعرفون سوى ذوقهم البياني الفطري.

فثمة مواقف لأعراب أميين قمة في الذوقية الفطرية. قد انفعلوا حين لامست مسمعهم تلك الكلمات القرآنية. فجسدوا تلك الانفعالات –قولاً أو عملاً. ومن ثم أكدت تلك الانفعالات . على هذه القضية الإرسالية.

وهذه المواقف قد رويت في كتب التراث الإسلامي،وهي مشاهد انفعالية قد تأثرت ببيان التنزيل وفصاحته،وليس الإعجاز القرآني يعتمد عليها،فهو المعجز بنظمه وأسلوبه دونما أدنى ريب. وإنما نسوقها،هنا، كشواهد على المحتوى البياني، ومدى ما فيه من مقومات العجب العجاب.

ودونكم تلك المواقف.

---

[1] النكت والعيون (4/ 332)

الأول: (أعرابي على قعود )انفعال قولي وفعلي.

ويقدم أعرابي من البادية على قعود[1] له. فيصغي إلى تلاوة لسورة الذاريات. فينفعل بمشاعره كلها. ولا يملك إلاَّ أن عبر عنها فوراً. وذلك. حينما سمع الأعرابي قول الله تعالى: {فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ[2] }

قال : **"من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم .؟؟؟"**

ولهذا القول قصة. رواها الأصمعي . إذ يقول فيها:" أقبلتُ ذات يوم من المسجد الجامع في البصرة. فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف[3]. جاف. على قَعودله. متقلد سيفه. وبيده قوس. فدنا وسلّم. وقال لي: مَن الرجل؟ قلت : من بني الأصمع. قال : أنت الأصمعي؟ قلت : نعم .قال : ومن أين أقبلت؟ . قلت: من موضع مليء بكلام الرَّحْمن. قال : وللرَّحْمن كلام يتلوه [ الآدميون ] .

قلت : نعم .قال : أُتلُ عليّ شيئاً منه . فقلت له : اِنزل عن قَعودك .

فنزل . وابتدأت بسورة (والذاريات). فلمّا انتهيت إلى قوله سبحانه:{ وَفِي السمآء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } .

قال: يا أصمعي هذا كلام الرَّحْمن؟ قلت : إي . والذي بعث محمداً بالحق. إنّه لكلامه أنزله على نبيّه محمد (ص) فقال لي : حسبك.

ثم قام إلى الناقة فنحرها وقطعها كلّها. وقال: أعنيّ على توزيعها.

---

[1] والقَعُوْد والقَعُودة من الإبل: يَقْتَعدهما الراعي. فيركبهما. ويحمل عليهما زاده. والبكْرُ إذا بَلَغَ الإثْناءَ: قَعُوْد، ويجْمَع على القُعد والقُعدات والقِعْدان. المحيط في اللغة - (ج 1 / ص 14)

[2] [(23) سورة الذاريات]

[3] قولهم: أعرابي جِلْفٌ. أي :جاف. مختار الصحاح - (ج 1 / ص 119)

ففرقناها على من أقبل وأدبر. ثم عمد إلى سيفه وقوسه. فكسرهما. وجعلهما تحت الرمل. وولّى مدبراً نحو البادية . وهو يقول:{وَفِي السمآء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} فأقبلت على نفسي باللوم . وقلت: "**لم تنتبهي لما انتبه له الأعرابي** ".

فلمّا حججت مع الرشيد دخلت مكة. فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق[1]. فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً . مِصفاراً . فسلّم عليّ. وأخذ بيدي. وأجلسني من وراء المقام. وقال لي:" أُتل كلام الرَّحْمن."

فأخذت في سورة (والذاريات) فلمّا انتهيت إلى قوله :{ وَفِي السمآء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } صاح الأعرابي. فقال : "وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقاً."

ثم قال : "وهل غير هذا؟ " قلت : نعم. يقول الله سبحانه:{ فَوَرَبِّ السمآء والأرض إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ }.

فصاح الأعرابي. وقال:" يا سبحان الله!! من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدّقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثاً.

وخرجت فيها نفسه . [2] "

وهذه نادرة. تصح .أولا تصح. ولكنها تذكرنا بجلال هذا القسم من الله سبحانه . القسم بذاته . بصفته :رب السماء والأرض . مما يزيد الحقيقة المقسم عليها جلالاً . وهي حقيقة بلا قسم ولا يمين[3] .

---

[1] وفي رواية :رقيق.

[2] تفسير الألوسي - (ج 19 / ص 377) تفسير الثعلبي - (ج 1 / ص 2141)

[3] في ظلال القرآن - (ج 7 / ص 32)

وعن الحسن أنه قال فيها:بلغني أن رسول الله( ص )قال :" قاتل الله قوماً أقسم لهم ربهم. ثم لم يصدقوا [1] " وفي رواية:" أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ [2] "

وثمة رجل جرب ما آمن به. فعن يزيد بن مرثد: أنّ رجلا جاع في مكان ليس فيه شيء. فقال: "اللّهم رزقك الذي وعدتني فأتني به."

قال : فشبع ورَوِي من غير طعام ولا شراب[3]"

***

الثاني: (أعرابي جلف) انفعال قولي.

وبين أينا مشهد لأعرابي جِلف . هبط مدينة رسول الله ( ص ) ليصادف رسول الله ( ص ) يقرأ هذه الآية. {....ومكروا مَكْراً كُبَّاراً.....} فعندما سمعه. تحركت مشاعر الفصاحة. فلم يملك نفسه حتى عبر عنها. فقال: **"ما أفصح ربَّك يا محمد ."**

**{ كُبَّاراً }:**

لقد أخذت كلمة{كُبَّاراً}بلب هذا الأعرابي،فثوَّرت أحاسيسه،حتى نطق بما يعتلج بداخله من تذوق لفصاحة القرآن . ولن ندرك ما أدركه هذا الأعرابي،حتى نفهم معنى{ مَكْراً كُبَّاراً } وفق قواعد التفسير.

ذلك. أن الأعرابي فهم المعنى بما يشير إليه من المرادات الاعتبارية بسليقته العربية. أما نحن: فالأمر مختلف. فـ{كُبَّاراً}أي: كبيراً في الغاية. فهو من صيغ المبالغة.

---

[1] تفسير الألوسي (19/ 377)

[2] تفسير الثعالبي (3/ 492)

[3] تفسير القرطبي (17/ 42) الكشف والبيان .للثعلبى (12/ 317) عن زيد بن جرير.

قال عيسى بن عمر: "هي لغة يمانية." وإذا اعتبر التنوين في (مكراً) للتفخيم. زاد أمر المبالغة في مكرهم. أي: كبيراً في الغاية[1] "

وهذه الصيغة القرآنية. ليست غريبة عند العرب. بل هي عندهم من الصيغ التي لا تستعمل إلاَّ في المواطن العليا من كل شيء. لذلك. فإن مثلها لن يكون من الدارج -استعمالاً. وإنما تكون في المواطن اللغوية العليا.

قال ابن السكيت: وسمِع الفراء ظُرَّافاً. وشيءٌ عُجَاب وعُجّاب. ورجلٌ وُضّاء: للوَضِيء. وقُرَّاء: للقارئ. وقال الفراء : أنشدني أبو صدقة :

بَيْضَاء تَصْطَاد الغَوِيَّ وتَسْتَبي  بالحُسْنِ قَلْبَ المُسْلِم القُرَّاء

والقارئ . والمتقرئ. والقراء .كله بمعنى: الناسك. والقراء: يكون من القراءة. ويكون من التنسك. وهو أحسن . وجمع القراء: قراؤون . وتقرأ : تفقه[2] "

وقال آخر:

والمَرْءُ يُلْحِقُه بِفِتْيانِ النَّدى[3]  خُلُقُ الكَريم . ولَيْسَ بالوُضَّاء[4]

والوِضَاء:جمع وَضِيء. ويقال :أوجُهٌ وِضَاءٌ. ورجل وُضَّاءُ.[5]يقال :وجهٌ وضيءٌ أي حَسَن من أوجه[6]

---

[1] تفسير الألوسي - (ج 21 / ص 325)

[2] المحكم والمحيط الأعظم - (ج 6 / ص 470)

[3] والنَدى: الجود. ورجلٌ نَدٍ، أي جواد. وفلان أَنْدى من فلان، إذا كان أكثر خيراً منه. وفلان يَتَنَدَّى على أصحابه، أي يتسخَّى. ولا تقل يُنَدِّي على أصحابه. والنَدى: الشحمُ .والنَدى: المطر والبلَلُ. وجمع النَدى أنْداءٌ، وقد جمع على أَنْدِيَةٍ. الصحاح في اللغة (ج 2 / ص 201)

[4] المخصص .لابن سيده - (ج 4 / ص 412)

[5] المخصص .لابن سيده - (ج 5 / ص 26)

[6] الزاهر فى معانى كلمات الناس - (ج 1 / ص 38)

ومع أنه سماعي. فهناك قاعدة مضطردة لتسويغ استعمالها. قال أبو عبيدة: فإذا أرادوا المبالغة شدَّدوا فقالوا :" كُرّام " و " كُبّار " و " ظُرَّاف " و " عُجَّاب " فالكُرّام: أشد كَرَماً من الكرَام. وقد يجيء من المشدّد ما ليس من هذا الباب. قالوا " حُسّان " للحَسن. و " قُرَّاء " للقارئ. و " وُضَّاء " للوضيء[1]."

فالقرآن-إذاً- بين واضح . وفهمه وتدبره ليس عسيراً. بحيث نقفل عقولنا ونكل فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير. فكم من آية إذا فسرتها . أبهمت معناها [2].

***

الثالث : (الوليد بن المغيرة) انفعال قولي .

وهذا مشهد لأقوى وأفصح من نطق بالضاد من قريش-يومئذ-وأعلمها بفنون الفصاحة والبيان. وهو الوليد بن المغيرة.وذلك،حين أُرسل إلى النبي(ص )حتى يفاوضه في شأن القرآن وأن يترك هذا الأمر. قال له:" يا محمد إن أردت ملكا ملكناك، وإن أردت مالا جمعنا لك من المال ما تكون به أغنى العرب. وإن أردت نساء نظرنا في أجمل نساء العرب. فأتينا بهن إليك." فقال: "هذا الذي عندك؟... اسمع."

فتلا عليه صدر سورة (فصلت):{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم(1) تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(2)كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(3)بَشِيرا وَنَذِيرا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ[3]}ومر رسول الله ( ص ) في التلاوة حتى

[1] أدب الكتاب لابن قتيبة - (ج 1 / ص 116)

[2] إعجاز القرآن (ص: 12)

[3] [فصلت:1-4]

بلغ قوله تعالى {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ[1]} وفي رواية : فقال له :" اقرأ عليّ "

فقرأ عليه {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[2]}

قال:" أعد"

فأعاد النبي - ﷺ[3]."

وفي رواية للحاكم: عن ابن عباس أن النبيّ (ص)قام يصلي في المسجد. وأخذ يقرأ القرآن. والوليد بن المغيرة قريب منه يستمع قراءته. فلما فطن النبيّ ( ص ) لاستماعه أعاد القراءة. فالتفت إليه الوليد. وقال: "حسبك الآن. "

فرجع إلى قومه. فلما رأوه مقبلاً. قالوا:" لقد أتاكم فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به "فلما حضر،قالوا: " ما عندك- يا فلان؟" فقال:" إني سمعت كلاما ليس هو بالشعر، وليس هو بالكهانة، وليس هو بالكلام الذي نألف. إن له لحلاوة، وإن عليه لطُلاوة -أو طَلاوة أو طِلاوة مثلثة- وإن أسفله لمورق. وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه."وفي رواية[4]: "فلما قرأ عليه القرآن. كأنه رقَّ له. فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه. فقال له: "يا عم. إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه . فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قِبَله."

قال الوليد: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ."

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك: أنك منكر له وكاره ؟"

---

[1] [فصلت:13]

[2] [النحل: 90]

[3] عن عكرمة .دلائل النبوة (199/ 2)

[4] مناهل العرفان (2/ 224) القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور (ص: 27)

قـال :"ومـاذا أقـول؟ فـو الله مـا فـيكم مـن رجـل أعلـم مني بالشـعر، لا برجزه،ولا بقصيده. ولا بأشعار الجن،والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا. ووالله. إن لـه لحـلاوة،وإن عليـه لطلاوة، وإنـه لمنير أعـلاه. مشـرق أسـفله. وإنـه ليعلو ولا يعلى. وإنه ليحطم ما تحته"

قال أبو جهل للوليد:" لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه."

فقال الوليد:" دعني أفكر " فلما فكر . قال:" هذا سحر يأثره عن غيره "

فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدا}."

وفي رواية: "فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأنّ قريش كلهم!

فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه! "

وقعد إليه حزينا وكلّمه بما أحماه. وما زال به حتى أتى مجلس قومه.

فقـال:" تزعمـون: أن محمـداً مجنـون؟ فهـل رأيتمـوه يخنـق؟ وتقولـون: إنـه كاهن. فهل رأيتموه قط يتكهّن؟

وتزعمـون :أنـه شـاعر. فهـل رأيتمـوه يتعـاطى شـعراً- وفي روايـة: والله مـا في قريش رجل أعلم بالشعر أو رجزه أو قصيده مني. ولا -والله- ما يشبه الذي يقول محمد شيئاً من هذا الشعر أو ذلك الرجز.

وتزعمون: أنه كذاب، فهل جرّبتم عليه شيئا من الكذب؟ " فقالوا في ذلك كله: اللهم لا. ثم قالوا: فما هو؟! ... "

ففكّر وقدّر.. ثم قال: "ما هو إلا سحر يؤثر. أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟"

فارتجَّ النادي فرحاً. وتفرقوا معجبين بقوله ".

وهذا هو ما أشار إليه سبحانه بقوله: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقالَ إِنْ هذا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) [1]

***

الرابع:(أعرابي يسجد) انفعال فعلي.

والبيان والفصاحة وجه إعجاز للقرآن. عجز عنها الفصحاء. وقصّر فيها البلغاء[2]. ويسمع أعرابي آية فيخر ساجداً . وليس أمامه متألّه من البشر . فلِمن سجد إذاً؟ لقد. سجد لروعة البيان وسحره. وسمو فصاحته وبيانه.

والجملة القرآنية التي سحرت الأعرابي فحملته على السجود. هي:{فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ[3]}. فقد ذكر أبو عبيدة :أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ:{فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ[4]} فسجد. وقال: "**سجدت لفصاحة هذا الكلام.** "

لأنه أدرك منه بديهة من غير تأمل كل ما أدركناه بعد الروية والنظر . ومن هذا يتبين لك: أن العرب تيقنت من أول ما سمعت القرآن. أنه غير مقدور للبشر. فلم تشتغل بالمعارضة. ولا حدثت نفوسها بها[5]."

قال عبد الله الثعالبي:"ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة. وشرائعها. وأحكامها. وحلالها، وحرامها[6] " و عن رؤبة:" ما في القرآن أعرب من

---

[1] [سورة المدثر، الآيات 18 - 24].

[2] تفسير الماوردي = النكت والعيون (1/ 30)

[3] الحجر: 94

[4] الحجر: 94

[5] إعراب القرآن وبيانه (5/ 264)

[6] نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (1/ 9)

قوله (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) 1 "قال عبد الله بن عبيدة: ما زال النبي (ص) مستخفيا حتى نزلت هذه الآية. فخرج هو وأصحابه.2 "

وفي القرآن أمثلة. أخرى على نمطها. منها: "وأشربوا في قلوبهم العجل " و " خلصوا نجياً " وسمع آخر رجلاً يقرأ: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّا). قال:« **أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام**»

وغريب القرآن في التنزيل قليل. لا لأن اللفظة غريبة في نفسها. ولكن من أجل استعارة نوعية فيها. وسجود الأعرابي كان من أجل هذا. وحين نحلل هذه الجملة. فإننا ندرك سر هذا الانفعال.

فأما تحليل{فَاصْدَعْ}فهو كالآتي: فأصلُ الصَّدْعِ: الشَّقُّ: صَدَعْتُه فانصَدَعَ. أي: شَقَقْتُه. فانْشَق. والصَّديعُ: ضوء الفجر لانشقاقِ الظلمةِ عنه. ومعنى "فاصدَعْ ": فافرُقْ بين الحقِّ والباطلِ وافْصِلْ بينهما. ومنه التفرقةُ كقوله:{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ}.

استعارة المحسوس للمعقول وهي ألطف من المركّبة[3].

**وسحر البيان هنا:** أنها استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي . حيث استعير الصدع -وهو كسر الزجاجة-أو هو الشق في نحو حائط. وهو محسوس للتبليغ. وهو معقول. والجامع هو قوة التأثير في كل منهما. على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة. وهو أبلغ من (بلِّغ) وإن كان بمعناه. لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ. فقد لا يؤثر التبليغ. والصدع يؤثر جزماً.

---

[1] الموسوعة القرآنية المتخصصة (1/ 811)

[2] إعراب القرآن وبيانه (5/ 264)

[3] إعراب القرآن وبيانه (3/ 463)

وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة «اصدع» في إبانتها عن الدعوة والجهد بها والشجاعة فيها. وكلمة «بما تؤمر» في إيجازها وجمعها. والمعنى: افرغ لِمُهمتك. فالصّدع أن تصنع شقاً في متماسك. كما نشق زجاجاً بالمشرط الخاص . أو نصنع شقاً في حائط . والرسول (ص) قد جاء لِيشقَّ الكفر ويهدم الفساد القوي المتماسك الذي يَقْوى بقوة صناديد قريش .وقد شاع ذلك المصطلح « الصدع » في الزجاج؛ لأن أيَّ شقٍّ في أيِّ شيء. من الممكن أنْ يلتئمَ إلا في الزجاج .لأنه يصعب أن يجمع الإنسان القطع الصغيرة التي تنتج من صدعه. وقد جاء الإيمان ليصدع بنيان الكفر والفساد المتماسك[1] .

أما السر في (ما) :

فهي تحتمل أمرين. تحتمل: أن تكون مصدرية بمعنى :فاصدع بأمرنا. وتحتمل أن تكون اسم موصول. فلو قال تعالى: (فاصدع بما تؤمر به) لكان اسماً موصولاً قطعاً. فما المقصود؟

يحتمل: أن تكون( فاصدع بأمرنا). ويحتمل أن تكون (فاصدع بالذي تؤمر به) والأمران مرادان في الآية. أن يصدع بأمره ويصدع بما أمره به. ولو ذكر أحد الأمرين لتحدد المعنى بشيء واحد. أو بقسم من المعنى.

وهذا الحذف هنا يدل على التوسع في المعنى[2]."

هذا. وقد جاء استعمال (فاصدع) في شعر أبي طالب. **حيث قال: (فَاصدَع بِأَمرِكَ) ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ....** لكنه لا يمكن أن يماثل القرآن بفصاحته. ولن يصل إلى حد المعجزة.

---

[1] تفسير الشعراوي (ص: 4831)

[2] لمسات بيانية (ص: 399)

وتلكم المناسبة في قول أبي طالب.. فعن ابن عباس في قوله (وَهُم يَنهونَ عَنهُ وَيَنأَونَ عَنهُ) قال : نزلت في أبي طالب. كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله(ص)ويتباعد عما جاء به . وهذا قول عمرو بن دينار والقاسم بن مخيمر. قال مقاتل: وذلك أن النبي (ص)كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام. فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ( ص ) سوءاً. فقال أبو طالب:

**وَاللهِ لا وَصَلوا إِلَيكَ بِجَمعِهِم ... حَتّى أُوَسدَ في التُرابِ دَفينا**

**(فَاصدَع بِأَمرِكَ) ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ .. وَابشِر وَقُرَّ بِذاكَ مِنكَ عُيونا**

فأنزل الله تعالى (وَهُم يَنهونَ عَنهُ) الآية[1].

وقيل: الضمير المجرور للنبي(ص). والمرفوع لأبي طالب. ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه. فإنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله . وينأى عنه فلا يؤمن به[2] " وفيها على هذا القول التفات [3]. والمعنى في (ينهون عنه) أي: يذبون عنه. ويمنعون الناس عن أذاه. ( وينأون عنه )أي: يتباعدون عن الإيمان به. وذلك مثل أبي طالب. كان يذب عنه حال حياته. قال ابن عباس : نزلت في أبي طالب. كان ينهى المشركين أن يؤذُوا محمداً، وينأى عمّا جاء به.4 حتى روي: أنه اجتمع عليه رؤساء قريش. وقالوا له: "اختر شاباً من أصحابنا. واتخذه ابناً لك . وادفع إلينا محمداً "

فقال أبو طالب: ما أنصفتموني؟ أدفع إليكم ولدي ليقتل. وأربّي ولدكم؟! "

---

[1] زهرة التفاسير (5/ 2373)

[2] تفسير أبي السعود - (ج 3 / ص 122)

[3] تفسير الألوسي - (ج 5 / ص 282)

[4] تفسير الطبري - (ج 11 / ص 313)

وروي: أنه قال لرسول الله(ص):" لولا أن قريشاً تُعيِّرني، لأقررت عينك بالإيمان [1] " وكان يذب عنه إلى أن توفي. وروى :أنه قرأ عليه قوله -تعالى:{وهم ينهون عنه وينأون عنه }. فقال أبو طالب : "أما أن أدخل في دينك: فلا أدخل أبداً . ولكني أذب عنك ما حييت [2] "

الخامس : (سجود المشركين) انفعال فعلي.

وهذا الموقف أخذ مساحة كبيرة من تذوق فصاحة القرآن،وسحر بيانه، فشمل الإنس والجن والمسلمين والمشركين،لكن المميز في هذا السجود، أن المشركين قد سجدوا.

فعن بن عباس :أن رسول الله {ص }سجد بالنجم. وسجد معه المسلمون. والمشركون. والجن. والإنس [3]." وفي الصحيح:أن النبيّ {ص }قرأ سورة (النجم) وهو بمكة[4]." قال ابن عباس، وغيره : حتى شاع أن أهل مكة أسلموا[5] "

ولأن وقع الترتيل القرآني-مع قمة الفصاحة-كان عالي الوتيرة. فقد سجلت لنا رواية المشهد موقفاً انفعالياً عجيباً. يتوافق مع درجة وقوة التأثير البياني.

ودونكم المشهد. بحيثياته الدقيقة. فعن بن مسعود: "أن النبي {ص } سجد بالنجم وسجد المسلمون إلا رجل من قريش[1] أخذ كفًّاً من تراب[2]. فرفعه إلى

---

[1] تفسير السمعاني - (ج 2 / ص 96)

[2] تفسير السمعاني - (ج 2 / ص 96)

[3] صحيح البخاري برقم (4862). الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم - (ج 2 / ص 84)

[4] تفسير القاسمي = محاسن التأويل - (ج 7 / ص 256) وفي فتح الباري - ابن حجر - (ج 2 / ص 554)زاد الطبراني في الأوسط من هذا الوجه( بمكة) فأفاد اتحاد قصة بن عباس وبن مسعود. قوله ( والجن )كأن بن عباس استند في ذلك إلى إخبار النبي ﷺ إما مشافهةً له. وإما بواسطة. لأنه لم يحضر القصة لصغره. وأيضا فهو من الأمور التي لا يطلع الإنسان عليها إلا بتوقيف. وتجويز أنه كشف له عن ذلك. بعيد. لأنه لم يحضرها قطعا.

[5] شرح أبي داود للعيني - (ج 5 / ص 313)

جبهته. فسجد عليه. وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا. قال عبد الله : فرأيته -بعد -قتل[3] كافراً "[4]

ويبقى سؤال :لماذا كان السجود جماعياً بهذه السورة ، ولم يكن لغيرها؟

-لأن سورة {وَالنَّجْمِ} أول سورة أعلن بها رسول الله {ص } وجهر بقراءتها في الحرم. والمشركون يستمعون. نزلت في شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة. ولما بلغ {ص} السجدة . سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس[5].

**ولماذا سجد المشركون؟** وهم ينأون ويصدون ؟ وما الذي حدث حتى أكره المتكبر (أمية بن خلف)أن يسجد بطريقة دقيقة وجليلة،وكأنها مدروسة دراسة محكمة. وحفاظاً على أنفته وكبريائه فعل ما فعل ،وبرَّر. فقال :" يَكْفِينِي هَذَا. "؟؟؟؟

لقد تصفحت تقارير المفسرين –قديماً وحديثاً- فألفيت صوراً مكرورة لأصل واحد، يحمل طابع الفكرة الواحدة، مع تنوع في الصياغة، وهي أنهم سجدوا نتيجة انفعال نفسي محوره الخوف. علماً بأنهم كافرون.

ربما نجد هذا في حالة أخرى،أمام نص قرآني آخر. ينفعلون خوفاً من بيانه، لكنهم لم يسجدوا . فالسجود، لم يقع إلاَّ هنا.

---

[1] " فأخذ رجل من القوم " هو أمية بن خلف، وقيل: هو الوليد ابن المغيرة، وقيل: هو عتبة بن ربيعة، وقيل: إنه أبو أحيحة سعيد بن العاص، والأول أصح. شرح أبي داود للعيني - (ج 5 / ص 313) لروايته في البخاري.ففي مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح - (ج 3 / ص 912)وزاد البخاري في روايته : وهو أمية بن خلف. شرح أبي داود للعيني - (ج 5 / ص 313)

[2] وفي رواية كفا من حصا أو تراب. عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (ج 28 / ص 309)

[3] وقد قتل يوم بدر كافرا ولم يكن أسلم قط. شرح النووي على مسلم - (ج 5 / ص 75)

[4] مسند أحمد بن حنبل - (ج 1 / ص 388)تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين. مسند الصحابة في الكتب التسعة - (ج 25 / ص 217)

[5] تفسير روح البيان - (ج 9 / ص 172)

فهلم إلى البيان. كما هو في تفسير الآلوسي. وهي الصورة التي تختزل ما قرر في كتب التفسير جميعاً.

تحليل الآلوسي :

وتحليله كان بقوله: "وليس لأحد أن يقول : إن سجود المشركين يدل على أنه كان في السورة ما ظاهره مدح آلهتهم وإلا لما سجدوا ؟ لأنا نقول : يجوز أن يكونوا سجدوا **لدهشة أصابتهم . وخوف اعتراهم**. عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى : { وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الاولى * وَثَمُودَ فَمَا أبقى * وَقَوْمَ نُوحٍ مّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وأطغى * والمؤتفكة أهوى * فغشاها مَا غشى[1] } إلى آخر الآيات.

فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم. ولعلهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه {ص}وهو قائم بين يدي ربه- سبحانه- في مقام خطير وجمع كثير. وقد ظنوا من ترتيب الأمر بالسجود على ما تقدم : أن سجودهم ولو لم يكن عن إيمان كاف في دفع ما توهموه.....

ولا تستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه {ص}فقد نزلت سورة حم السجدة. بعد ذلك -كما جاء مصرحاً به في حديث عن ابن عباس ذكره السيوطي في أول الإتقان: فلما سمع عتبة بن ربيعة قوله تعالى فيها : { فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صاعقة مّثْلَ صاعقة عَادٍ وَثَمُودَ[2] }أمسك على فم رسول الله {ص} وناشده الرحم. واعتذر لقومه حين ظنوا به: أنه صبأ. وقال: كيف - وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ؟ فخفت أن ينزل بكم العذاب[3] ."

---

[1] [ النجم : 50-54 ]

[2] [ فصلت : 13 ]

[3] وقد أخرج ذلك البيهقي في الدلائل . وابن عساكر في حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه . تفسير الآلوسي - (ج 13 / ص 109)

لقد أكد الآلوسي على استشعار الخوف. وساق شاهداً آخر زيادة في التوكيد . لكنهما –حقيقةً- مفترقان في صورة المشهد. فهناك سجود . وهنا طلب بالإمساك. وهناك انفعال من الجميع . ولم يعربوا عن سبب انفعالهم . وهنا انفعال من واحد. وقد أعرب عن السبب.

وفي ظلال القرآن[1] ما يؤكد على هذا المنحى . إذ يقول سيد قطب كعادته في التصوير الفني:" إن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعشة والرجفة.وهم يستمعون إلى محمد {ص}إنما كان العناد المصطنع هو الذي يحول بينهم وبين الإذعان . والحادثان التاليان شاهد على ما كان يخالج قلوبهم من الارتعاش .

روى ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب. من طريق محمد بن اسحاق. عن عثمان بن عروة. بن الزبير .عن أبيه. عن هناد بنت الأسود. قال: « كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزوا إلى الشام . فتجهزت معهما. فقال ابنه عتبة : " والله لأنطلقن إلى محمد ، ولأوذينه في ربه ".

فانطلق حتى أتى النبي{ص}فقال: "يا محمد . هو يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . " فقال النبي{ص}:" اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ".

ثم انصرف عنه. فرجع إلى أبيه. فقال : يا بني. ما قلت له؟

فذكر له ما قاله. فقال: فما قال لك ؟ قال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك .

قال :يا بني والله ما آمن عليك دعاءه!"

---

[1] (ج 7 / ص 70)

فسرنا حتى نزلنا الشراة-وهي مأُسَدَة-ونزلنا إلى صومعة راهب . فقال الراهب: يا معشر العرب. ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنها يسرح فيها الأسد كما تسرح الغنم!

فقال أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي؛ وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه. فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة. وافرشوا لابني عليها. ثم افرشوا حولها . "

ففعلنا . فجاء الأسد فشم وجوهنا. فلما لم يجد ما يريد تقبض. فوثب وثبة فوق المتاع. فشم وجهه. ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه . فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد! [1]»

هذا هو الحادث الأول صاحبه أبو لهب. أشد المخاصمين لمحمد {ص}المناوئين له ،المؤلبين عليه هو وبيته . المدعو عليه في القرآن هو وبيته: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5) }[2]"

وفي نظري: أن هذه وجهة نظرهم،وهي ليست اعتباطية،بل مقررة وفق الحجة والمحجة،ونحن نحترمها ونقدرها. وفيها نظر.

هذا،وقد اختزل الكرماني ما يحتمله السجود،فقال:سجد المشركون مع المسلمين،لأنها أول سجدة نزلت. فأرادوا معارضة المسلمين بالسجود لمعبودهم، أو وقع ذلك منهم بلا قصد،أو خافوا في ذلك المجلس من مخالفتهم.[3].

---

[1] تفسير ابن كثير (7/ 446)

[2] [المسد: 1 - 5]

[3] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج 3 / ص 432)

احتمالات ثلاثة... في الأول والثالث نظر. فمعارضة المشركين بالسجود لمعبود المسلمين بعيدة جداً. لأن الوقت الذي نزلت فيه كان لصالح المشركين، والخوف من مخالفتهم كذلك . لأن المسلمين حينئذٍ هم الذين كانوا خائفين من المشركين لا العكس. وبقي الاحتمال الثاني ." أو وقع ذلك منهم بلا قصد." فهذا الذي لم يقف عنده الباحثون. وهو الأقوى. هكذا كانت تعابير الأقدمين. "بلا قصد."

وشبيه منها كانت عبارة الآلوسي . "لدهشة أصابتهم. وخوف اعتراهم."

وخلال تأملي في تحليل الآلوسي. **وجدته لم يوضح قصده ب< لدهشة أصابتهم >** وإنما مال إلى توضيح < وخوف اعتراهم > وبين الدهشة والخوف فارق في المعنى.إلاَّ إذا فسرت الدهشة بالخوف . وهنا لم يجعل الخوف تفسيراً لها. ففي مختار الصحاح[1]: دَهِشَ الرجل تحير وبابه طرب و دُهِشَ أيضا على ما لم يسم فاعله فهو مَدْهُوشٌ و أدْهَشَهُ الله." وفي المعجم الوسيط:دهش دهشا . تحير وذهب عقله. من وله. أو فزع. أو حياء. فهو دهش[2]."

والوَلهُ: ذهابُ العقل. والتحيُّرُ من شدة الوجد [3].

**والفرق بين الدهش والحيرة :**أن الدهش: حيرة مع تردد واضطراب،ولا يكون إلا ظاهراً . ويجوز : أن تكون الحيرة خافية -كحيرة الانسان بين أمرين تروَّى فيهما ولا يدري على أيهما يقدم- ولا يظهر حيرته. ولا يجوز أن يدهش ولا يظهر دهشته[4]."

---

[1] (ج 1 / ص 218)

[2] (ج 1 / ص 300)( دهش )

[3] الصحاح في اللغة - (ج 2 / ص 294)

[4] الفروق اللغوية - (ج 1 / ص 239)

فالدهش،إذاً،هو الذي أصابهم،وليس الخوف أومن خوف،بل من شدة الوجد،والانفعال الإيجابي مع ما هو ساحر لهم،من الفصاحة والبيان. وكلمة الكرماني:(بلا قصد)تصب في هذه القناة. فهم دهشوا من شدة الفصاحة. التي استحوذت على مشاعرهم وعقولهم،فلم يتمكنوا من ضبط حركتهم الوجدانية. فبِلا قصد سجدوا،لكن واحداً منهم انتبه إلى مقامه، ليختار سجوداً رسمه لنفسه،يناسب مقامه. لأنه أدرك أن من لم يسجد سيصبح سبة بين أهل الحكمة والزعامة. والله أعلم.

***

**تذييل:**

وكيف تحل مشكلة غير العربي – وقد بعث النبي (ص) إلى الخلق كافة - وهو لا يفقه أساليب البيان. وهو والعربي من حيث الإيمان سواء. حيث قال الله سبحانه:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً[1] لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ..[2] }؟؟

أرى: أن المشكلة سرعان ما تُحل حين ندرك أن وراء هذا الأمر حِكماً. نستطيع استخراجها من وحي التنزيل. ومما هديت إليه من الحكم أسوقه هنا:

1.إن نزوله بلسان واحد يكون أبعد عن التحريف والتبديل -اعتباراً بما وقعت به الأمم السابقة. وأسلم من التنازع والخلاف-كما حدث للنصارى من تعدد في نسخ الإنجيل وتنازع فيما بينهم.

2.كما يهدف التنزيل للناس كافة: أن تكون لغة المسلمين واحدة . فتتوحد المفاهيم والكلمة . ويبقى الشرف العظيم لخاتم الرسل سيدنا محمد( ص ) . ولا تتزعزع هيبة التنزيل أبداً. ومن ثم. لا يفرق بين عربي وغير عربي إلاَّ بفقه القرآن والتقى. وتصدق المقولة: من تكلم العربية فهو عربي. ويزيد غير العربي أنه قد ماز على العربي بلسان آخر. وذهبت المشكلة في مهب الريح.

---

[1] يعني: للناس عامة أحمرهم وأسودهم. وأصله: من الكف بمعنى المنع. وأريد به العموم. ما فيه من المنع من الخروج. واشتهر في ذلك حتى قطع النظر فيه عن معنى المنع بالكلية. فمعنى جاء الناس كافة: جاؤوا جميعاً .وقيل: كافة أي: كافًا يكفهم عما هم عليه من الكفر.والهاء للمبالغة. تفسير الألوسي - (ج 16 / ص 307)تفسير البغوي - (ج 6 / ص 400) وقال الخفاجي عليه الرحمة : الاحسن أن يجعل { لِلنَّاسِ } مستثنى على أن الاستثناء فيه مفرغ. وأصله ما أرسلناك لشيء من الأشياء إلا لتبليغ الناس كافة . تفسير الألوسي - (ج 16 / ص 307)

[2] [سبأ/28]

3. إن نـزول القـرآن على النبي (ص) بلسـان واحـد. والترجمـة لأهـل بقيـة الألسـن لتغني عـن نزولـه بجميع الألسـن. وفي هـذا تجنـب للتطويل غير المقبـول. وتوحد في المصدر.

4.إلـزام النـاس كافـةً بهـذا اللسـان في إطار التعبـد. لهـو العمـاد في بقـاء وحـدة الأمة.

5. لـو نـزل القـرآن بألسـنة النـاس-جميعـاً. وكان معجـزاً في كل واحـد منهـا. لاختلفـت قناعـاتهم . وتفاوتـت مسـتويات إيمـانهم. وتضـاربت مفـاهيمهم الفقهيـة حـول خطابات الله سبحانه.